حفريات التعامل الربوي بين الدراية والمُعاصرة

تمهيد

ما دام الخبر السابق:

لأن أزني ثلاثاً وثلاثين زنية أحبّ إليّ من أن آكل درهماً من ربا يعلم الله تعالى أني أكلته أو أخذته وهو ربا.}

في "شقّه الزّنوي"عُرف من كلام كعب الأحبار وصحت نسبته إليه، فلنا أن نسأل:

أيكون هذا مما اغترفه كعب من جراب الإسرائيليات قبل إسلامه ؟

الجواب: بلا!

وبدون تردد، وهاك الدليل.

فقد وجدنا تحريم التعامل بالربا مُقتناً بوضوح في عدة نصوص من " العهد القديم"، نخص بالذكر منها ما ورد في الأسفار التالية:

1) " سفر الخروج " (22: 25):

25 إِنْ أَقْرَضْتَ فَقِيراً مِنْ شَعْبِي الْمُقِيمِ عِنْدَكَ فَلاَ تُعَامِلْهُ كَالْمُرَابِي، وَلاَ تَتَقَاضَ مِنْهُ فَائِدَةً

2) و" سفر التثنية " (23: 19 - 20):

19 لاَ تَتَقَاضَوْا فَوَائِدَ عَمَّا تُقْرِضُونَهُ لإِخْوَتِكُمْ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، سَوَاءٌ كَانَتِ الْقُرُوضُ فِضَّةً أَوْ أَطْعِمَةً أَوْ أَيَّ شَيْءٍ آخَرَ.
20 أَمَّا الأَجْنَبِيُّ فَأَقْرِضُوهُ بِرِباً!!!!!!!!!!.

إِنَّمَا إِيَّاكُمْ إِقْرَاضَ أَخِيكُمْ بِفَائِدَةٍ،
لِيُبَارِكَكُمُ الرَّبُّ إِلَهُكُمْ فِي كُلِّ مَا تُنْتِجُهُ أَيْدِيكُمْ فِي الأَرْضِ الَّتِي أَنْتُمْ مَاضُونَ لِامْتِلاَكِهَا.

3) و" سفر اللاويين " (25 : 35 - 36):

35 وَإِذَا افْتَقَرَ أَخُوكَ وَعَجَزَ عَنْ إِعَالَةِ نَفْسِهِ فِي وَسَطِكَ، فَأَعِنْهُ، سَوَاءٌ كَانَ غَرِيباً أَوْ مُوَاطِناً، لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْعَيْشِ مَعَكَ.
36 اتقِ إِلهَكَ وَلاَ تَأْخُذْ مِنْهُ رِباً وَلاَ رِبْحاً، لِيَتَمَكَّنَ مِنَ الْعَيْشِ فِي وَسَطِكَ
37 لاَ تُقْرِضْهُ فِضَّتَكَ بِرِباً، وَلاَ تَبِعْهُ طَعَامَكَ بِرِبْحٍ.
38 أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ دِيَارِ مِصْرَ لِيَهَبَكُمْ أَرْضَ كَنْعَانَ، فَيَكُونُ لَكُمْ إِلهاً.

4) و سفر نحميا (5: 1 - 13):

وَارْتَفَعَ صُرَاخُ الشَّعْبِ وَنِسَائِهِمْ بِالشَّكْوَى احْتِجَاجاً عَلَى إِخْوَتِهِمِ الْيَهُودِ الْمُسْتَغِلِّينَ، 2 فَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّنَا رُزِقْنَا بَنِينَ وَبَنَاتٍ كَثِيرِينَ، دَعْنَا نَأْخُذْ قَمْحاً حَتَّى نَأْكُلَ وَنَحْيَا. 3 وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّا رَهَنَّا حُقُولَنَا وَكُرُومَنَا وَبُيُوتَنَا لِقَاءَ الْحِنْطَةِ لِنَدْفَعَ عَنَّا الْجُوعَ. 4 وَمِنْ قَائِلٍ: إِنَّنَا اسْتَقْرَضْنَا فِضَّةً لِنَدْفَعَ خَرَاجَ الْمَلِكِ عَلَى حُقُولِنَا وَكُرُومِنَا، 5 وَمَعَ أَنَّ لَحْمَنَا مِنْ لَحْمِ إِخْوَتِنَا وَأَوْلاَدَنَا كَأَوْلاَدِهِمْ، فَإِنَّ عَلَيْنَا أَنْ نُخْضِعَ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا لِلْعُبُودِيَّةِ، بَلْ إِنَّ بَعْضَ بَنَاتِنَا مُسْتَعْبَدَاتٌ، وَلَيْسَ بِيَدِنَا حِيلَةٌ، لأَنَّ حُقُولَنَا وَكُرُومَنَا مَرْهُونَةٌ لِلآخَرِينَ.
6 وَحِينَ سَمِعْتُ صُرَاخَ شَكْوَاهُمْ وَكَلاَمَهُمْ غَضِبْتُ جِداً. 7 وَبَعْدَ أَنْ تَدَبَّرْتُ الأَمْرَ فِي نَفْسِي عَنَّفْتُ الأَشْرَافَ وَالْوُلاَةَ قَائِلاً: « إِنَّكُمْ تَأْخُذُونَ الرِّبَا مِنْ إِخْوَتِكُمْ». ثُمَّ عَقَدْتُ اجْتِمَاعاً عَظِيماً لِمُقَاضَاتِهِمْ. 8 وَقُلْتُ لَهُمْ: «إِنَّنَا بِحَسَبِ طَاقَتِنَا افْتَدَيْنَا بِالأَمْوَالِ إِخْوَتَنَا الْيَهُودَ الَّذِينَ بِيعُوا لِلأُمَمِ، وَهَا أَنْتُمْ تَبِيعُونَ إِخْوَتَكُمْ لَهُمْ، وَهُمْ يَعُودُونَ فَيَبِيعُونَهُمْ لَنَا». فَسَكَتُوا وَلَمْ يَجِدُوا جَوَاباً. 9 ثُمَّ اسْتَطْرَدْتُ: «هَذَا تَصَرُّفٌ سَيِّءٌ. أَلاَ تَسْلُكُونَ فِي خَوْفِ إِلهِنَا تَفَادِياً لِتَعْيِيرِ الأُمَمِ أَعْدَائِنَا؟ 10 لَقَدْ أَقْرَضْتُ أَنَا وَغِلْمَانِي الشَّعْبَ أَيْضاً فِضَّةً وَقَمْحاً، فَلْنَمْتَنِعْ عَنْ تَقَاضِي الرِّبَا. 11رُدُّوا لَهُمْ هَذَا الْيَوْمَ حُقُولَهُمْ وَكُرُومَهُمْ وَزَيْتُونَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ، وَالنِّسْبَةَ الْمِئَوِيَّةَ مِنَ الرِّبَا الَّتِي تَتَقَاضَوْنَهَا عَلَى الْفِضَّةِ وَالْقَمْحِ وَالْخَمْرِ وَالزَّيْتِ». 12 فَأَجَابُوا: «نَرُدُّ وَلاَ نُطَالِبُهُمْ بِرِبَا، صَانِعِينَ كُلَّ مَا قُلْتَ». فَاسْتَدْعَيْتُ الْكَهَنَةَ وَاسْتَحْلَفْتُهُمْ أَنْ يَفْعَلُوا بِمُقْتَضَى هَذَا التَّعَهُّدِ، 13 ثُمَّ نَفَضْتُ حِجْرِي قَائِلاً: «هَكَذَا يَنْفُضُ اللهُ كُلَّ إِنْسَانٍ لاَ يُنَفِّذُ هَذَا التَّعَهُّدَ فِي بَيْتِهِ وَفِي عَمَلِهِ، فَيُصْبِحُ شَرِيداً مُعْدَماً». فَأَجَابَتْ كُلُّ الْجَمَاعَةِ: «آمِين». وَسَبَّحَتِ الرَّبَّ. وَنَفَّذَ الشَّعْبُ نَصَّ هَذَا التَّعَهُّدِ.

5) وسفر المزامير (15: 1 - 5):

1 يَارَبُّ مَنْ يُقِيمُ فِي مَسْكِنِكَ؟ وَمَنْ يَأْوِي إِلَى جَبَلِكَ الْمُقَدَّسِ؟ 2 السَّالِكُ بِالاسْتِقَامَةِ، الصَّانِعُ الْبِرَّ، وَالصَّادِقُ الْقَلْبِ. 3 الَّذِي لاَ يُشَوِّهُ سُمْعَةَ الآخَرِينَ، وَلاَ يُسِيءُ إِلَى صَاحِبِهِ، وَلاَ يُلْحِقُ بِقَرِيبِهِ عَاراً. 4 يَحْتَقِرُ الأَرَاذِلَ وَيُكْرِمُ خَائِفِي الرَّبِّ. لاَ يَنْقُضُ حَلْفَهُ وَلَوْ فِيهِ أَذًى لَهُ. 5 لاَ يَسْتَثْمِرُ مَالَهُ بِالرِّبَا، وَلاَ يَقْبِضُ رَشْوَةً لِلإِيقَاعِ بِالْبَرِيءِ. الَّذِي يَصْنَعُ هَذَا لاَ يَتَزَعْزَعُ أَبَداً.

6) وسفر الأمثال (28: 8 - 9):

8 الْمُكْثِرُ مَالَهُ بِالرِّبَا وَالاسْتِغْلاَلِ، إِنَّمَا يَجْمَعُهُ لِمَنْ هُوَ رَحِيمٌ بِالْفُقَرَاءِ. 9 مَنْ يَصْرِفُ أُذُنَهُ عَنِ الاسْتِمَاعِ إِلَى الشَّرِيعَةِ، تَصِيرُ حَتَّى صَلاَتُهُ رَجَاسَةً

7) وسفر سفر إِشَعْيَاء (24: 1-3):

هَا إِنَّ الرَّبَّ يُخْرِبُ أَرْضَ يَهُوذَا وَيُقْفِرُهَا وَيَقْلِبُ وَجْهَهَا وَيُشَتِّتُ سُكَّانَهَا. 2 وَمَا يَقَعُ عَلَى الشَّعْبِ يَقَعُ عَلَى الْكَاهِنِ أَيْضاً، وَالسَّيِّدُ كَالْعَبْدِ وَالسَّيِّدَةُ كَأَمَتِهَا وَالْبَائِعُ كَالْمُشْتَرِي، وَالْمُقْتَرِضُ كَالْمُقْرِضِ ، وَالدَّائِنِ بِرِبا كَالْمَدْيُونِ بِرِبا، 3 وَيَحِلُّ الْخَرَابُ بِالأَرْضِ وَتُنْهَبُ نَهْباً، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ تَكَلَّمَ بِهَذَا الْقَضَاءِ. 4وَتَنُوحُ الأَرْضُ وَتَذْوِي، وَتَضْنَى الْمَسْكُونَةُ وَتَذْبُلُ، وَيَحْزَنُ مَعَهَا عُظَمَاؤُهَا

8) وسفر يراميا (15: 10)

10 وَيْلٌ لِي يَا أُمِّي لأَنَّكِ أَنْجَبْتِنِي لأَكُونَ إِنْسَانَ خِصَامٍ وَرَجُلَ نِزَاعٍ لِكُلِّ الأَرْضِ. لَمْ أُقْرِضْ بِرِبا وَلَمْ أَقْتَرِضْ بِرِبا. وَمَعَ ذَلِكَ كُلٌّ وَاحِدٍ يَلْعَنُنِي. 11 دَعْهُمْ يَشْتِمُوا يَارَبُّ. أَلَمْ أَتَضَرَّعْ إِلَيْكَ مِنْ أَجْلِ خَيْرِهِمْ؟ إِنِّي أَبْتَهِلُ إِلَيْكَ الآنَ مِنْ أَجْلِ أَعْدَائِي فِي وَقْتِ الضِّيقِ وَالْمِحْنَةِ.

9) وسفر حِزْقِيَال (18: 8 - 20):

وَأَوْحَى إِلَيَّ الرَّبُّ بِكَلِمَتِهِ قَائِلاً: 2«مَا بَالُكُمْ تَضْرِبُونَ هَذَا الْمَثَلَ بِشَأْنِ أَرْضِ إِسْرَائِيلَ قَائِلِينَ: أَكَلَ الآبَاءُ الْحِصْرِمَ فَضَرِسَتْ أَسْنَانُ الأَبْنَاءِ؟ 3 حَيٌّ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ: إِنَّكُمْ حَتْماً لَنْ تَضْرِبُوا هَذَا الْمَثَلَ فِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ الْيَوْمِ. 4 هَا جَمِيعُ النُّفُوسِ هِيَ لِي. نَفْسُ الأَبِ كَنَفْسِ الابْنِ كِلْتَاهُمَا لِي. وَالنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ. 5 وَلَكِنْ إِنْ كَانَ الْمَرْءُ صَالِحاً يُمَارِسُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ، 6 وَلَمْ يَصْعَدْ إِلَى الْجِبَالِ لِيَأْكُلَ أَمَامَ الأَنْصَابِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ، وَلَمْ يَزْنِ مَعَ امْرَأَةِ جَارِهِ وَلَمْ يُعَاشِرِ امْرَأَةً طَامِثاً، 7وَلَمْ يَظْلِمْ أَحَداً، بَلْ رَدَّ لِلْمَدْيُونِ رَهْنَهُ، وَلَمْ يَسْلُبْ قَطُّ، وَأَطْعَمَ الْجَائِعَ خُبْزَهُ وَكَسَا الْعُرْيَانَ ثَوْباً، 8 وَلَمْ يُقْرِضْ بِالرِّبَا وَلَمْ يَأْخُذْ حَرَاماً، وَكَفَّ يَدَهُ عَنِ ارْتِكَابِ الإِثْمِ، وَقَضَى بِالإِنْصَافِ وَالْحَقِّ بَيْنَ إِنْسَانٍ وَإِنْسَانٍ. 9 وَمَارَسَ فَرَائِضِي، وَأَطَاعَ أَحْكَامِي بِأَمَانَةٍ، فَهُوَ صِدِّيقٌ وَحَتْماً يَحْيَا، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ.

10 فَإِنْ أَنْجَبَ ابْناً لِصّاً سَفَّاكاً لِلدِّمَاءِ، فَاقْتَرَفَ بِحَقِّ أَخِيهِ بَعْضاً مِنْ ذَلِكَ الشَّرِّ، 11 وَلَمْ يَصْنَعْ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ الْخَيْرِ، بَلْ صَعِدَ إِلَى الْجِبَالِ لِيَأْكُلَ أَمَامَ الأَنْصَابِ، وَزَنَى مَعَ امْرَأَةِ جَارِهِ، 12 وَجَارَ عَلَى الْبَائِسِ وَالْمِسْكِينِ وَسَلَبَ وَلَمْ يَرُدَّ الرَّهْنَ، وَالْتَفَتَ إِلَى الأَصْنَامِ لِيَعْبُدَهَا وَارْتَكَبَ الأَرْجَاسَ، 13 وَأَقْرَضَ بِالرِّبَا وَأَخَذَ رِبْحاً حَرَاماً، أَفَيَحْيَا؟ إِنَّهُ لاَ يَحْيَا! لأَنَّهُ اقْتَرَفَ جَمِيعَ هَذِهِ الْمُوبِقَاتِ فَإِنَّهُ حَتْماً يَمُوتُ، وَيَكُونُ دَمُهُ عَلَى رَأْسِهِ.
14 أَمَّا إِنْ أَنْجَبَ ابْناً شَهِدَ جَمِيعَ مَا ارْتَكَبَهُ أَبُوهُ مِنْ ذُنُوبٍ وَلَمْ يَقْتَرِفْ مِثْلَهَا، 15فَلَمْ يَأْكُلْ عَلَى الْجِبَالِ أَمَامَ الأَنْصَابِ، وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَى أَصْنَامِ شَعْبِ إِسْرَائِيلَ لِيَعْبُدَهَا، وَلَمْ يَزْنِ مَعَ امْرَأَةِ جَارِهِ ، 16 وَلَمْ يَظْلِمْ أَحَداً، وَلَمْ يَحْتَفِظْ بِرَهْنٍ وَلَمْ يَسْلُبْ قَطُّ، بَلْ أَطْعَمَ خُبْزَهُ لِلْجَائِعِ وَكَسَا الْعُرْيَانَ ثَوْباً. 17وَلَمْ يُسِيءْ إِلَى الْبَائِسِ، وَلَمْ يُقْرِضْ بِالرِّبَا وَلاَ بِالرِّبْحِ الْحَرَامِ، وَقَضَى بِالإِنْصَافِ وَمَارَسَ فَرَائِضِي وَأَطَاعَ أَحْكَامِي، فَإِنَّهُ لاَ يَمُوتُ بِإِثْمِ أَبِيهِ، بَلْ حَتْماً يَحْيَا. 18 أَمَّا أَبُوهُ فَلأَنَّهُ ظَلَمَ وَسَلَبَ أَخَاهُ وَارْتَكَبَ مَا هُوَ طَالِحٌ بَيْنَ شَعْبِهِ، فَهُوَ حَتْماً يَمُوتُ بِإِثْمِهِ.

19 وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولُونَ: لِمَاذَا لاَ يُعَاقَبُ الابْنُ بِوِزْرِ أَبِيهِ؟ حِينَ يُمَارِسُ الابْنُ الإِنْصَافَ وَالْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِكُلِّ فَرَائِضِي فَإِنَّهُ حَتْماً يَحْيَا. 20 أَمَّا النَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ فَهِيَ تَمُوتُ.

لاَ يُعَاقَبُ الابْنُ بِإِثْمِ أَبِيهِ وَلاَ الأَبُ بِإِثْمِ ابْنِهِ. يُكَافَأُ الْبَارُّ بِبِرِّهِ وَيُجَازَى الشِّرِّيرُ بِشَرِّهِ.

ونجد نظائر لهذا التحريم في العهد الجديد أيضاً، كما في النص التالي:

10) وسفر متى (25: 14 - 30)

14 فَذلِكَ أَشْبَهُ بِإِنْسَانٍ مُسَافِرٍ، اسْتَدْعَى عَبِيدَهُ وَسَلَّمَهُمْ أَمْوَالَهُ، 15 فَأَعْطَى وَاحِداً مِنْهُمْ خَمْسَ وَزْنَاتٍ (مِنَ الْفِضَّةِ)، وَأَعْطَى آخَرَ وَزْنَتَيْنِ، وَأَعْطَى الثَّالِثَ وَزْنَةً وَاحِدَةً، كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِ طَاقَتِهِ، ثُمَّ سَافَرَ. 16 وَفِي الْحَالِ مَضَى الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَاتِ الْخَمْسَ وَتَاجَرَ بِهَا، فَرَبِحَ خَمْسَ وَزْنَاتٍ أُخْرَى. 17 وَعَمِلَ مِثْلَهُ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ، فَرَبِحَ وَزْنَتَيْنِ أُخْرَيَيْنِ. 18 وَلكِنَّ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ، مَضَى وَحَفَرَ حُفْرَةً فِي الأَرْضِ وَطَمَرَ مَالَ سَيِّدِهِ. 19 وَبَعْدَ مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ، رَجَعَ سَيِّدُ أُولئِكَ الْعَبِيدِ وَاسْتَدْعَاهُمْ لِيُحَاسِبَهُمْ. 20 فَجَاءَهُ الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَاتِ الْخَمْسَ، وَقَدَّمَ الْوَزْنَاتِ الْخَمْسَ الأُخْرَى، وَقَالَ: يَاسَيِّدُ، أَنْتَ سَلَّمْتَنِي خَمْسَ وَزْنَاتٍ، فَهَذِهِ خَمْسُ وَزْنَاتٍ غَيْرُهَا رَبِحْتُهَا ! 21 فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: حَسَناً فَعَلْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِيناً عَلَى الْقَلِيلِ، فَسَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ! 22 ثُمَّ جَاءَهُ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَتَيْنِ وَقَالَ: يَاسَيِّدُ أَنْتَ سَلَّمْتَنِي وَزْنَتَيْنِ، فَهَاتَانِ وَزْنَتَانِ غَيْرُهُمَا رَبِحْتُهُمَا! 23 فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: حَسَناً فَعَلْتَ أَيُّهَا الْعَبْدُ الصَّالِحُ وَالأَمِينُ! كُنْتَ أَمِيناً عَلَى الْقَلِيلِ، فَسَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ. ادْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ! 24 ثُمَّ جَاءَهُ أَيْضاً الَّذِي أَخَذَ الْوَزْنَةَ الْوَاحِدَةَ، وَقَالَ: يَاسَيِّدُ، عَرَفْتُكَ رَجُلاً قَاسِياً، تَحْصُدُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَزْرَعْ، وَتَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ تَبْذُرْ، 25 فَخِفْتُ، فَذَهَبْتُ وَطَمَرْتُ وَزْنَتَكَ فِي الأَرْضِ. فَهَذَا هُوَ مَالُكَ! 26 فَأَجَابَهُ سَيِّدُهُ: أَيُّهَا الْعَبْدُ الشِّرِّيرُ الْكَسُولُ! عَرَفْتَ أَنِّي أَحْصُدُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَزْرَعْ، وَأَجْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَمْ أَبْذُرْ، 27 فَكَانَ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تُوْدِعَ مَالِي عِنْدَ الصَّيَارِفَةِ لِكَيْ أَسْتَرِدَّهُ لَدَى عَوْدَتِي مَعَ فَائِدَتِهِ!» 28 ثُمَّ قَالَ لِعَبِيدِهِ: «خُذُوا مِنْهُ الْوَزْنَةَ، وَأَعْطُوهَا لِصَاحِبِ الْوَزْنَاتِ الْعَشْرِ: 29 فَإِنَّ كُلَّ مَنْ عِنْدَهُ، يُعْطَى الْمَزِيدَ فَيَفِيضُ؛ وَمَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ، فَحَتَّى الَّذِي عِنْدَهُ يُنْتَزَعُ مِنْهُ. 30 أَمَّا هَذَا الْعَبْدُ الَّذِي لاَ نَفْعَ مِنْهُ، فَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ، هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ!

11) وسفر لوقا (19: 23 -)

23فَلِمَاذَا لَمْ تُودِعْ مَالِي فِي الْمَصْرِفِ، فَكُنْتُ أَسْتَوْفِيهِ مَعَ الْفَائِدَةِ عِنْدَ عَوْدَتِي؟

وعلى ضوء هذه النصوص الكثيرة، لم يختلف موقف الكنيسة وآبائها في شيء عن موقف المسلمين، كما يستشف من النصوص التالية.

فقد جاء في أحد تفاسير أباء الكنيسة بخصوص "مزامير داود"[1].

إذا ما أقرضت مالك على الربا لإنسان، أي: إذا أعطيتَ قرضا من مالِك لشخص، وانتظرت أن تستلم منه أكثر مما أعطيته، ليسَ في المال فحسب، بل في أيّ شيء، سواء أكانت حنطة، أو نبيذ، أو نفط، أو ما شابه ذلك مما يرضيك، وأنت تَتوقعُ استلام أكثر مِما أعطيتَ، فأنت مرابي، ولا تستحقُّ في هذا الحال المديح، بل اللوم. تَقُولُ: كيف لي إذن أن أتصرف، بحيث أقرض وأربح؟ تمعن فيما يقوم به المرابي. فهو يَرْغبُ بدون شك في أنْ يَعطي أقل مبلغ، وأن يستلم أكثر منه؛ قم بمثل هذا أنت أيضاً؛ إعط لنفسك قليلاً، واستلمُ كثيراً. لاحظ كَمْ يَنْمو رأسمالك ويَزيدُ. إعط "أشياء دنيوية"، "واستلمُ" أشياءَ أبديّة: "إعط الأرض، واستلمُ السماء! لربما تقول: "لمن يجب علي أن أعطي؟ "الله نفسه، الذي منعك أن تقرض بربا، يَتقدم إليك كالشخص الذي يجب عليك أن تقرضه على الربا! اسمع مِنْ الكتاب المقدّس الطريقة التي يمكنك أن تقرض الله بها. فالله لا يحتاج إلى شيئ منك، لكن يوجد من هو بحاجة إلى شيء منك فتمده به، فيأخذه منك. فالفقير ليس عنده ما يعيده إليك، ومع ذلك فهو نفسه مسرورُ أن يُعوّضُك، إلا أنه لا يجد لا شيئا.

1 Church Fathers - V.17. Expositions on the Psalms ** (48)

ومن أقوال أحد آباء الكنيسة: ترتوليان (160 – 235 !)[2] [3]:

والآن، حول موضوع القرض، عندما يَسْأَلُ، "فإذا أقرضت إلى من تَتمنّى أن تستلم منه، فأي فضل لك ؟ "(17) قارن هذا بالكلماتِ التاليةِ ل "حُزقيال"، التي يَقُولُ فيها عنْ الرجل العادل المذكور أعلاهِ، "لم يَعطي ماله على الربا، ولا أنه سَيَأْخذُ أيّ زيادة "(18) -- يَعْني زيادة الربا، (19) التي هي "الربا". فالخطوة الأولى كَمنت في استئصال ثمرة المال المقترض، (20) وبسهولة أكثر ليتعوذ الرجل على الخسارةِ، لو حصلت، للمالِ نفسه.

وجاء عن قيريل المقدسي (Cyril of Jerusalem) (315 – 386) وجرجير النازيانسي (Gregory Nazianze) (329 -390 م) 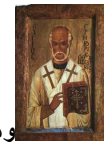 وهما من آباء الكنيسة[4]:

لقد دنس آخر الأرضَ بالربا والفائدة، وهما جمعان لم يبذر فيهما بذراً ولا ذرى تبناً، لم يزرع الأرض ولكن الحاجات الضرورية للمحتاجين.

ويقول القديس "بازيل" (333/329 – 379 م) [5]:

إن آخذ الربا، متى قرر أن يصَرْف مكسبه الظالم على الفقراء، وأنْ يتخلّصَ مستقبلا من طاعون الشهوة، قدْ يُقبل في العمل الكنسي.

ومع اكتشاف أن بعض القساوسة، لم يكونوا يتورعون من أخذ الربا، ولا يلتزمون بمضمون ما ورد في نصوص العهدين من تحريم التعامل به، فقد انعقدت عدة مجامع مسكونية

---

[2] العالم الديني القرطاجي الذي اعتنق المسيحيةِ سنة 193 م، وتَخاصمَ مع الكنيسةِ الكاثوليكيةِ سنة 207 م وشكّلَ طائفتَه الانشقاقية الخاصة. وقد تأثر اللاّهوت الغربي كثيراً بكتاباته.

3 Church Fathers - V.3. Latin Christianity: Its Founder, Tertullian; Three Parts: .. ** (372 CHAP. XVII.--CONCERNING LOANS. PROHIBITION OF USURY AND THE USURIOUS SPIRIT. THE LAW PREPARATORY TO THE GOSPEL IN ITS PROVISIONS; SO IN THE PRESENT INSTANCE. ON REPRISALS. CHRIST'S TEACHING THROUGHOUT PROVES HIM TO BE SENT BY THE CREATOR.

(حول القروض. تحريم الربا والروح الربوية. القانون التحضيري إلى الإنجيل في بنودِه؛ لذا وفي الحالةِ الحاليةِ. حول الأعمال الإنتقامية. تعليم السيد المسيح الشامل يثبت أنه مُرسَلَ من طرف الخالق.)

4 Church Fathers - V.30. Cyril of Jerusalem, Gregory Nazianzen ** (253)

5 Church Fathers - V.31. Basil: Letters and Select Works ** (228) XIV.

للنظر في مثل هذه النوازل وقررت في مجمعها المسكوني السابع: القانون السّابع عشر، الذي جاء فيه[6]:

نظراً لكون الكثير من المسجلين ضمن رجالِ الدين، نسوا تحت ضغط الشهوة والرغبة في المكسبِ، الكتاب المقدّسَ الإلهي، الذي يَقُولُ بأنه، " لا يَعطي مالَه على الربا"، وفي إقراض المال يطالب بالجزء في المائة كفائدة شهرية، فإن المجمع الكنسي المقدّس والعظيم يظن من العدل أن أي أحد وجد يأخذ الربا، بعد هذا المرسوم، سواء أأنجز ذلك بمعاملات سرية أو بغيرها، كَما في طلب الكل والنِصْف[7]، أو باستعمال أيّ اختراع آخر من أجل الربح القذر، سَيُفصل مِنْ رجالِ الدين ويشطب على اسمِه مِنْ القائمةِ.

وقد علق القانوني الكنسي البلجيكي: زيجر برنهارد فان إسبن (Zeger Bernhard van Espen) (1646 – 1728) على ها القانون بقوله[8]:

بالرغم من كون القانون يعبر فقط عن هذين النوعين من أنواع الربا، إذا ما أخذنا في الاعتبار الأرضية التي اعتمدت للمنع، لكن، يَظهر أنه يُحرّمُ على رجالِ الدين أي نوع من الربا وتحت أية ظروف. لذا فإن الترجمة التي أرسلت لهذا القانون من قِبل الشرقيين إلى المجلس السادس لقرطاجة لم يخرج بحال عن القصد الحقيقي للقانون؛ لأنه لم تقع إشارة في هذه النسخةِ إلى أيّ نوع معيّن مِنْ الربا، وإن كانت العقوبة عموماً تخص أيّ رجال دين "سَيُوْجَدونَ يأخذون الربا بَعْدَ هذا المرسوم " أو يفكرون في طريقة ما لأجل الحصول على الربح القذر.

قلت:

وعدا نص سفر التثنية (23: 19 - 20) أعلاه، الذي أورد التعامل التفاضلي بالربا مع الأجنبي، فإن باقي النصوص لا تعرج على ذكر لأجنبي بالمرة!.

وهو ما حثنا على البحث في كيفية نشأة سفر التثنية وكيفية دخول التحريف عليه لنجزم، بعد التقصي، بأن التعامل بالربا محذور مع كل البشر من باب منع الاستغلال والعدل الرباني.

ثم اكتشفنا عرضاً، أنه إن كان للتوراة أن "تُحرم الربا" فللأحبار في " التلمود" أن يلفوا حول هذا الأمر بذرائع شتى! من شاكلة:

---

[6] **Church Fathers - V.37. The Seven Ecumenical Councils,** This canon is found in the Corpus Juris Canonici, divided into two. Decretum. Pars II, Causa VII. Quaest. I. c. xxiij.; and Pars I. Dist. LXXI., c. iij. 36. CANON XVII.

[7] جاء في الخلاصة القديمة للقانون السّابع عشر.
إذا استلم أي واحد ربا أو 150 بالمائة، فيجب أن يطرد ويُخْلعُ، طبقاً لهذا المرسوم الكنسي.

[8] This Canon is found in the Corpus Juris Canonici, in the first part of the Decretum, in Dionysius's version. Dist. xlvii, c. ii, and again in Isidore's version in Pars II, Causa xiv. Quaes. iv., c. viii

1) **الضرورة، أو**

2) **المخالفة في المعتقد، أو**

3) **الحرب**

فالتشريع الأحباري اليهودي حرم " الربا " في داخل المعتقد (أي بين اليهود) وحلله خارجه، أي مع الأمميين (الغويم) من باقي الأمم.

لذلك وجدنا اليهود في بريطانيا قبل طردهم منها أيام الملك "إدوارد الأول" (King Edward I) (1239 – 1307 م)

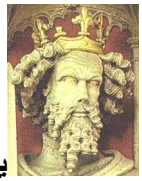

يقرضون بربا يتأرجح ما بين 23 في المائة إلى 43 في المائة كعائد ربوي في السنة وقد يصل أحياناً إلى 60 %، بل وحتى 87 %.[9]

وقد وجدنا حتى عند متأخريهم، ممن عاشوا في كنف الحضارة الإسلامية في الأندلس ك " موسى بن ميمون" (1135 م – 1204 م)

أنه يأخذ بمبدأ عدم المُماثلة في التعامل بالربا في دار الحرب تحت " القاعدة !":

{ حيث يوجد حق الحرب يوجد أيضاً حق الربا }[10]

والمعروف أن الكنيسة أعلنت حرباً عشواء، لا هوادة فيها، على " الربا" منذ القرن الثاني عشر الميلادي وإلى بداية القرن الرابع عشر في مجامع مسكونية خاصة، عقدت لمعالجة هذا الإشكال مثل:

1) **المجمع اللاطيري (Lateran Council) سنة 1179 م،**

---

9 أنظر المعطيات بهذا الصدد عند { Cecil Roth, 1987: A history of the Jews in England, Oxford, Clarendon Press, p. 107.} وكذلك في { Shatzmiller, Joseph,1990: Shylock Reconsidered: Jew, Money lending and medieval society, Berkeley and Los Angeles, University of California Prss.}

10 النص ترجمة حرفية للقاعدة اللاتينية { UBI IUS BALI IBI IUS USURE }، أو { Where there is the right of war, there is also the right of usury}

2) ومجمع مدينة ليون الفرنسية (Council of Lyons) سنة 1274 م،

3) ومجمع فيينا (Council of Vienna) سنة 1312 م.

وقد وصف المُقرض الربوي إما ب " الوسِخ "، أو " السارق"، أو " الزّاني". بل إن ذنب "الربا " نُظر إليه كأحد " الكبائر" لا يقل شناعة عن: " القتل"، أو " الإلحاد "، أو " تدنيس المقدسات "، أو " الحنث"، أو "الكفر"، أو " نكاح المحارم "، أو " اللواط"..

قلت:

ومنه يتبين أن التمثيل ب " الزنا" و ب" نِكاح المحارم" بالنسبة للتعامل بالربا، كانت لها صدارتها في كلام الأحبار اليهود ورجالات الكنيسة سواء!.

وهذا منبعها الأصلي.

لذلك، لم يكن مستغرباً أن نجد مثل هذه المماثلة التقريعية تجري على لساني كل من " كعب الأحبار" و " عبد الله بن سلام ".

فالنكهة "إسرائيلية – مسيحية" صرفة ولا علاقة لها برسول الإسلام ﷺ صاحب " جوامع الكلم ".

وبخصوص الكنيسة بالذات، فإن من كان في أمس الحاجة إلى " المال"، لم يكن له من بد من الوقوع فريسة لنهم المقرضين الربويين، لسببين وجيهين:

1) إما لأنهم لم يستطيعوا الحصول على القروض الحسنة من مسيحيين مسكونين بالروح المسيحية، لهم قابلية للإقراض بإحسان من دون أخذ " الربا"،
2) أو لأنهم يريدون إخفاء متاعبهم المالية عن أقربائهم وأصدقائهم[11].

وهي ذات الإشكالية التي سيواجهها بحذافيرها عامة المسلمين اليوم في مهاجرهم الجديدة، والتي يتوجّبُ عليهم إيجاد الحلول العملية لها.

11أنظر: { Mundill, Robin R, 1988: England's Jewish solution: Experiment and Expulsion 1261 - 1290,p. 109.}

إنتهى
ويليه الجزء الثامن:

آفات الموروث غير المنقح:

نموذج من الفتاوى الفاسدة بتبعات أفسد!:

شراء العملة في البنوك الإسلامية